# المرأة والطب

ـ قال الله تعالى: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ٥].

ـ وقال أيضاً: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

ـ وقال عزّ من قائل: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]

ـ وقال جلّ جلاله: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾ [الرحمن: ٣٣].

ـ وقال عزّ وجلّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج: ٧٣].

إنّ هذه الآيات الكريمات تُفيد في مجملها بأنّ الله عزّ وجلّ سوف يُمكّن الإنسان من قطع أشواطٍ في مجال العلم، سواء منه العلم الذي يتعلّق بالآفاق والمجرّات والكواكب والطبيعة، أو العلم الذي يتعلّق بخاصيّة الإنسان جسداً ونفساً، وإنّ تيسير الله عزّ وجلّ لهذا الإنسان لتحقيق هذه الاكتشافات العلميّة إنما هو لغرض إلهي مقصود، ألا وهو الإذعان لربوبيّة الله عزّ وجلّ، فكلّما ازدادت البشريّة تقدّماً كلّما علِمَت بضآلة عبوديّتها وأيقنت بعِظَم خالقها، ثم تحدّى الله عزّ وجلّ الثقلين الإنس والجنّ على أن يخرجوا من أقطار السماوات والأرض؛ ومعنى ذلك أنهم يستطيعون أن يفرّوا من سلطان الله، فيتوصّلوا إلى طريقة للخروج من هذا الكون، فقوله عزّ وجلّ:

﴿ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾.

إنما يعني الخروج من هذا الكون أرضاً ونجوماً وكواكباً ومجرّات ، والفرار إلى منطقة خارج ما خلق الله عزّ وجلّ ، وهذا بطبيعة الحال من الأمور التي حتّم الله عزّ وجلّ بقضائه عجز الإنسان عن إدراكها مهما تقدّم في العلم والمدنية ، وترى أنه عزّ وجلّ قد تحدّى البشرية جمعاء ، بكل ما أوتوا من علم وحضارة وقوّة ومال وما إلى ذلك من الأمور أن يخلقوا ذبابة واحدة من العدم ، ثم تابع التحدّي عزّ وجلّ فأعجزهم أن يستنقذوا ما تأخذه الذبابة من أشيائهم ، ولاشكّ أنه قد ثبت بالدليل الصريح عجز البشرية عن استنقاذ ما يسلبه الذباب؛ لكون المادة التي يحملها الذباب في قدميه تتحوّل إلى استحالة حقيقية نتيجة تفاعلات كيميائية يفرزها الذباب ، وتعجز أعظم المخابر التحليلية في شتّى العالم عن استعادة هذا الشيء إلى ما كان عليه .

ولعلّ التقدّم العلمي الذي وقع في هذه الأيام أسكر عقول الملاحدة وأمثالهم ممن سار في مسلكهم ، فاعتقدوا أنهم قادرون على الخلق ، وأخذوا يُدجّلون على البشرية زوراً وبُهتاناً بأن عمليات الاستنساخ أو عمليات أطفال الأنابيب تُعتبر خلقاً!!

وهذا بطبيعة الحال كلام زائف باطل ، لا من الناحية الشرعية فحسب بل من الناحية العلمية المحضة أيضاً ، فلا يخفى على كل عاقل أنّ مفردة (الخلق) تعني إيجاد الشيء من العدم ، أي إيجاده دون الاستعانة بمواد أوّلية من أجل هذا الإيجاد ، فمجرد الاستعانة بمواد أوّلية من أجل هذا الإيجاد ينفي أن يكون الإيجاد خلقاً من العدم ، والأمر يكون أوضح في حال استعانتهم بشيء مخلوق أصلاً من قِبَل الله عزّ وجلّ ، كما هو الحال في عملية الاستنساخ وأطفال الأنابيب ، وسوف أذكر بالتفصيل هذه الأمور ـ إن شاء الله ـ في موضعها ، ولكن أقول باختصار : إنّ أطفال الأنابيب هي عملية قائمة على تلقيح النطفة مع بويضة المرأة ليُشكّلا بويضة مُلقّحة خارج الرحم الأنثوي ، وذلك بتأمين رحم اصطناعي قريب من المناخات الطبيعية لجسم المرأة التي تُؤمّن نشأة هذه البويضة المُلقّحة نشأة طبيعية ، فهل تُعتبر هذه العملية خلقاً؟!

من أجل أن نعتبر هذه العملية خلقاً لابدّ أن يأتوا بالبويضة المُلقّحة من عند

أنفسهم ، لا بالاستعانة بنطفة حيّة يفرزها الذكر وبويضة حية تفرزها الأنثى ، ثم يقوموا بعملية التلقيح بين هذه النطفة وهذه البويضة المخلوقتين أصلاً الحيَّتين أصلاً اللتين تنبضان بالحياة ، ثم بعد ذلك ينسبون لأنفسهم خلقاً!!

هذا سخف واضح وتحايل على العقول واستخفاف بالأذهان وتجرّؤ على الرحمن ، نقول لهؤلاء: إذا استطعتم أن تخلقوا من العدم دون الاستعانة بنطفة أو غيرها بويضة مُلقّحة تُنشئونها من العدم ، فهذا يُعتبر من الناحية العلمية خلقاً ، وهذا أمر يستحيل على البشرية تحقيقه مهما تقدّمت الأزمان؛ لأنّ الخلق من خصائص الخالق عزّ وجلّ وليس للمخلوق أن يخلق ، بل وليس للمخلوق أن يُحافظ على حياته التي يتمتّع بها حتى يتجرّأ على أن يتعدّى إلى ما بعد ذلك من الخلق والتكوين!

أما عملية الاستنساخ التي تطاولت بها ألسنة الكثير من السفهاء مُدّعين أنها خلق فهي أشدّ ما تكون بُعداً عن الخلق ، إنهم يستعينون بخلية حيّة يستخرجونها من جسم الإنسان ، وهذه الخلية التي استعانوا بها تنبض بالحياة التي متّعها الله بها ، فإنّ إخضاع هذه الخلية الحيّة للعمليات العلمية ، ثم زراعتها في رحم أنثى أو في رحم صناعي خارجي كل ذلك لا يُعتبر خلقاً؛ لأنهم اعتمدوا أساساً على وجود خلية حيّة ، يُمكن أن نُقرّ بأنهم خلقوا (حاشا لله) إذا قاموا بإبداع خلية حيّة من العدم ، أي أنهم خلقوا روحاً في خلية ميتة ، أو استطاعوا تكوين خلية من عند أنفسهم تنبض بالحياة ، عند ذلك يكون كلامهم خلقاً وهذا من الاستحالات التي قضى الله أن تكون خاصّة به عزّ وجل.

ومن خلال ما تقدّم يتبيّن لك الدجل والتزوير في استعمالهم لمفردة (خلق) لأنه ـ كما تقدّم ـ تُفيد معنى الإيجاد من العدم وهذا غير مُتحقق لا في أطفال الأنابيب ولا في الاستنساخ ، ولا في أي عملية من العمليات التي قد أسكرت عقولهم ، وأخذوا يُصدّرونها ويُروّرون بها الحقائق ويُدجّلون بها على العالم بأسره.

وبطبيعة الحال فبعد أن دُحِضَت هذه الدعوى من الناحية العلمية المحضة نُبيّن بطلانها من الناحية الدينية ، فقال تعالى:

ـ ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [يونس: ٤].

ـ وقوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [يونس: ٣٤].

ـ وأيضاً قوله سبحانه وتعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١].

وهذه الآيات تُفيد أنّ الخلق إنما يكون بإرادة الله وحده وقُدرته ، ولا يوجد في السماوات والأرض من يخلق غير الله ، كما قال عزّ وجلّ:

﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [يونس: ٤] فبداءة الخلق هي أصل الخلق ، وأما التلاعب في المخلوق سابقاً فلا يُعتبر خلقاً كما يُريد أن يُوهمنا هؤلاء الدجالون.

**ويشمل الحديث عن المرأة والطب أربعة فصول:**

**الفصل الأول**: بعض الشبهات والرد عليها.

**الفصل الثاني**: أطفال الأنابيب.

**الفصل الثالث**: تأجير الأرحام.

**الفصل الرابع**: الاستنساخ.

* * *